مصـــــر . . . .

بيـــن احتلاليـــن

[أكتوبـــر / تشرين أول / ١٩٥٤]

قَالوا الجلاءَ . . فقلتُ حلمُ خيالِ ... لا تطْمَعوا في نيلِ الاستِقلالِ[١]
ليسَ الجلاءُ رحيلَ جيشٍ غاصبٍ ... إنَّ الـجـلاءَ تـحـطم الأَغـلال
إنْ يتـركِ الوادي الـدخيلُ فـإننـا ... نحيـا بمصـرَ فـريسـةَ الإِذْلال
مـا كـانَ هـذا الأجنبيُّ ببـالـغٍ ... في البطشِ مبلغَ سالمٍ وجمال[٢]

* . * . * . * . *

يا نيلُ إنَّ السيلَ قد بلغَ الـزُبى ... وغـدتْ بلادُكَ دُميـة الأطفـال[٣]
الشعبُ مشـدودُ الإِسـارِ مُكمَّمٌ ... يشكـو القيـودَ، وَمَا لَهُ مِن وال
ولقـدْ ظَننـا أننـا في عهـدهمْ ... سنـزيـحُ عنـا مُـرهِقَ الأَثقـال
حتى تكشَّفَ للبـلادِ خـداعُـهُم ... هـيهـاتَ لـلظمـآنِ ريُّ الآل[٤]

---

(١) كان ذلك بعد عقد اتفاقية الجلاء عن قناة السويس وقبول شروط بريطانيا بعودة القوات البريطانية إليها إذا وقع اعتداء على تركيا وغيرها من حلفاء بريطانيا آنذاك.

(٢) جمال عبد الناصر، وصلاح سالم.

(٣) لأن البلاد كانت تمر بفترة مضطربة ووقعت فريسة لنزوات الضباط وصراعاتهم، (وبلغ السيل الزبى) مثل مشهور. الزبى: الرُّبى.

(٤) الآل: السـراب ويعبر عن خيبة أمل الشعب بهذه الثـورة.

طعنوا جَبَابرةِ الكفاحِ وألصقوا ... عارَ الخنُوثِ بجبهةِ الأبطال[1]

ورَموا بخنجرِ كيدِهم مَن قَدموا ... زهرَ الشبابِ لمذبحِ الآمال

همْ أخرسوا الأصواتَ حتى أنَّها ... باتَتْ تُكتم رنةُ الإعوال

همْ حطَّموا الأقلامَ... وما تركوا لنا ... غيرَ النفاقِ بغيثِهِ الهَّطال

بثّوا عيونَ البغي فينا، واشترَوا ... بعضَ النفوسِ حقيرةً بالمال

واشتدَّ لفحُ الرعبِ حتّى أخْمدوا ... حريَّةَ الآراءِ والأقوال

وهوتْ مثابرُنا... فرُبَّ صحيفةً ... أدمتْ جنوبَ عدوِّنا بنِصال

كانتْ أشدَّ من السِّهامِ مرارةً ... إنْ أرْهفَتْ أقلامها لنضال

حتَّى إذا انتظمَ الكنانةَ غيهبٌ ... قامتْ تكشِّفُ ليلَهُ بمقال

فعدا عليها الظالمون وحطَّموا ... منها الصروحَ... وإنها لَغوال[2]

* . * . * . *

ما عدتِ يا أرضَ الكنانَةِ موطناً ... للحرِّ... بل قدِ صِرْت دارَ نَكال

قَدْ حُورِبَ الأحرارُ في أرزاقِهِمْ ... من ظالمٍ في الظُّلمِ ليس يبالي

لا تَغضبي إنْ فرَّ منكِ مهاجرٌ ... حرٌّ، عنِ الإقدامِ ليسَ بسال

ما عادَ قولُ الحقِّ غيرَ جريمةٍ ... تأتي لكلِّ مواطنٍ بوبال

عُدْ يا جمالُ بما تشاءُ مُظفراً ... إنَّ الطغاةَ قصيرةُ الآجالِ

واظلمْ كما تهوى.. فظُلمُكَ سائغٌ ... لا تستَكنْ لبوادرِ الزلزالِ

وارمِ البلادَ لكيْ تظلَّ تسومنا ... خسفاً، بمثلِ مكيدةِ العمَّالِ[*]

---

(١) يقصد بهم الفدائيين الذين أقضوا مضجع الانكليز في القناة وهم من الشباب المسلم الغيور.

(٢) غوال : أي ثمينة.

المحاكمات معروفة إذ تصدر الأحكام قبل الإتهام.

وقتل مئات منهم تحت التعذيب.

(*) القلاقل التي أثارها العمال عقب صدور قرارات ٥ مارس ـ آذار ـ ١٩٥٤، من إضرابات ومظاهرات تهدف إلى إبقاء جمال وعصابته في الحكم [الشاعر].

لم يعرفِ الباستيلُ يوماً بعضَ ما في سجنِكَ الحربيِّ مِنْ أهوالِ[1]
مَنْ كانَ يخشاهُ فمصرٌ قدْ غِدت سجناً كبيراً مُحكَمَ الأقفال
ما أخْطَأتكَ رصاصةٌ من بْغضِنا إذْ أخطأتكَ رصاصةُ المُغتال[2]
فاغنمْ من اللَّذاتِ حظاً وافراً قَدْ أذنتْ شمسٌ لكمْ بزوال
ومدى الحياةِ... وفي القبورِ.. عليكمُ
ستظلُّ تَهمي لَعَنَةُ الأجيال

* . * . * . *

يا أيّها الشعبُ الذَّليلةُ روحُهُ هذا هوانُكَ مضربُ الأمثال
فيمَ التطلُّعُ للكرامَةِ والعُلا هلْ تعرفُ الهيجاءَ ذاتُ حِجال[3]
في مصرَ والذلُّ الرهيبُ يلفُّها عِشنا.. ولكنْ ليسَ عيشَ رجال

* . * . * . * . *

---

(١) السجن الحربي : وهو السجن الذي جرت فيه أفظع صور التعذيب بمصر للإخوان المسلمين وغيرهم.

(٢) يشير إلى الرصاصات التي انطلقت ضد جمال عبد الناصر وجرت بعدها اعتقالات الإخوان المسلمين والتي أظهرت كثير من الحقائق أنها كانت مسرحية لإعدام قادة الإخوان وشبابهم (أنظر مذكرات حسن عشماوي) التي تنشر في مجلة روز اليوسف.

(٣) ذات الحجال : هي المرأة.